التمهيد

لدراسةالشريعةالإسلامية

[المدخل لدراسة الشريعة]

والمسمّى

جمع الجذاذ في جهدي التلميذ والأستاذ

الدكتور

محمد محروس المدرس الأعظمي

1422 هـ 2001م

الإهداء

إلى مشايخي الكرام ، والعلماء الأعلام ، الذين تشرفت بالتلّقي والأخذ عنهم .. في :

العراق ، ومصر ، والحجاز ، والهند ، والشام .

وإلى ... مؤسس المجـــــد العلمي لأجدادنا

آل العلقبنـــــد

العـــــلاَّمة الشـــيخ

مصطفى العلقبنــد الأعظمي الطــائي

مفتي الحنفية ببغداد المحمية

ولأولاده ، وأحفاده ، من العلماء الأمجاد الأعلام

الذين تنوّر بهم الزمان في بغداد دار السلام ..

إليهم جميعا ... أهدي كتابي هذا .

المقدمة

الحمد لله الذي مهدَّ لنا درب الهداية ، وأبعدنا عن الغواية ، ودعانا إلـى التعلم والتعليم ، وأمرنا بإتيان البيوت من أبوابها وهو الخبير العليم .

والصلاة والسلام على من خوطب بإقرأ في أول خطاب ، وهو خطابٌ لأولي الألباب ، والصلاة والسلام على الآل والأصحاب ، وسدنة العلوم في كلِّ فنٍّ وباب .

وبعد ~~

فقد يسرَّ الله تعالى – بفضله – تدريس [المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية] لسنوات عديدةٍ في كليَّات الحقوق والقانون في العراق ، وكنت لا أتَّفق في كثيرٍ من الأحيان مع منهج الكتب المتعددة التي دَّرستها طوال عِقَدٍ من السنين ، ولذلك أعددت مذكَّراتٍ كنت ألقيها على الطلاب فيدونون الملاحظات عنِّي ، وقد رأيت أن أجعل من تلك المذكرات - المعدَّة إعداداً سريعاً – كتاباً ، ليعمَّ نفعه ، بعد أن عاودت النظر فيه بالتنقيح والإضافة والحذف بما يتناسب وذلك التعميم .

وقد رأيت أن أُسمِّي الكتاب [بالتمهيد لدراسة الشريعة] لسببين :

أولهما - موضوعيٌّ ، وهو أن التمهيد لفظٌ أليق بهذا العلم – كما سنرى –ثانيهما – ليتميَّز الكتاب عن أمثاله ، فقد أُلِّف في هذا العلم عددٌ غير قليل من الكتب الموسومة بذات الاسم ، وحين الإحالة من المقتبسين يختلط الأمر اختلاطاً غير مبرر .

وقد وطأت للموضوع بأمورٍ رأيتها مهمةً ، وقد لا يتطرق إليها الكثير ممن كتب ، متَّخذاً من [المنهجية الإسلامية] نبراساً في هذا المجال .

وجرى التبويب بما رأيته أنفع للقارئ ، ولا أراني بحاجةٍ لإعادة الفهرست فهو في متناول اليد في آخر الكتاب .

ولما كان من جملة ما درست في دبلوم الشريعة الإسلامية في كليَّة الحقوق بجامعة القاهرة سنة 1967 م ، مذكَّراتٍ مطبوعةٍ على الآلة الكاتبة لشيخي واستاذي العلاَّمة المرحوم الشيخ محمد أحمد فرج السنهوري الحنفي وزير الأوقاف الأسبق في مصر .. في تأريخ الفقه ، فإن مباحثه برمتها تدخل في موضوع كتابنا ، ولا أراني سآتي بأحسن ممَّا جاء به في الموضوع ، فرأيت .. وفاءً مني لواحدٍ من أساتذتي ، وتعميماً لعلمٍ غزير لا ينبغي أن يبقى حبيساً ،

رأيت أن أنقل ما يتعلق بهذا الجانب برمته ، وأحافظ على نسبته ، وأحفظه من سرقته.. ولذلك أسميت الكتاب : [التمهيد لدراسة الشريعة الإسلامية ، أو جمع الجذاذ في جهدي التلميذ والأستاذ] ، وعسى أن يكون هذا سنةً للتالين ، في حفظ حقوق السابقين ، لا أن يكون ديدنهم دون الإشارة ، وكلُّ جهدهم هو بعض التحوير في العبارة !! .

وإني أدعو الناظر فيه إلى إصلاح الخلل والخطل .. فإن كان فهو مني ، وإن وجد صواباً فذلك توفيق الله عزَّ وجلَّ ورحمته ، **{** يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم **}**[1]، وهو القائل :**{ ..** وفوق كلِّ علمٍ عليم **} .**

وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يمهدَّ لي السبيل لإتمام ما بدأت ، وأن يجعل النفع فيما كتبت ، وأن يجعل جلَّ وعلا خالصاً لوجهه ما بذلت ، وأن يغفر لمشايخنا وأساتيذنا الفخام .. وهو المعين في البدء والختام ، وهو الكفيل بتوالي الإنعام .

والحمـــد لله ربِّ العالميـــن ~~ِ

الدكتور
محمد محروس
المدرس الأعظمي

العراق / الأعظمية / محلة 314 - زقاق 88 – دار 41 .
هاتف المنزل / 4225253 و 4228669 .
هاتف المدرسة الوفائية الدينية / 8879723 .

توطئة

[1] **آل عمران / 74** .

يؤكـد البـاحثون الإسـلاميون ، وخاصَّـةً علمـاء الميـزان [المنطق] ، على أن يتضمنَّ الكـلام في كـلِّ علـمٍ توطئـةً تتضمـن الكلام على ما أسموه [بالرؤوس الثمانية] ، وهي : تعريف العلم ، موضوعه ، واضعه ، استمداده ، غايته ، فائدته ، ثمرته ، الحاجة إليه . وقد يضيف آخرون رأسين آخرين هما : نسبته إلى العلوم ، حكمه .. فتكون عشرة .

أولاً - <u>تعريـف العلـم /</u> جـرت العـادة علـى تعريـف المصـطلحات قبـل الـدخول بالتفصـيلات – وهـذا منهـجٌ إسـلاميٌّ دقيـق - ، وبيـان المعنـى اللغـوي ، ثـم المعنـى الإصطلاحي الذي انتقل إليه المعنـى ، ولأيِّ سـببٍ كـان ، فإن العرب قد وضعت للمعـاني ألفاظـاً تـدل عليهـا ، ثـم ينقل بطريق المجاز ذلك المعنى إلى معنـىً جديـداً ، قـد يضيق وقد يتَّسع .. ونحن مع منهجهم ذاك .

__ لقـد أسـمينا هـذا العلـم [بالتمهيـد لدراسـة الشـريعة الإسلامية] بل لـفظ [المـدخل] الـذي اعتـاد المؤلفـون في هذا العلم استعماله .

<u>والتمهيد لغةً /</u> مصدر [مَهَدَ] .

ومَهَدَ الفراش مهْداً : بسطه ، ووطأه .

ومَهَد أمراً : هيَّأه .

ومَهَّد – بتضعيف الهاء - : فيه زيادة البسـط والتهيـأة ، فهي كالمعنى السابق مع الزيادة .

وتَمَهَّد الأمر : تسَّهل ، وتوطأ .

والمُمَهَّد : المهيَّأ المسوَّى .

والمِهاد : الفِراش ، والأرض المنخفضة المستوية .

والمهد : السرير المهيَّأ للصبيِّ الصبيِّ والموطأ للمنام .

والمهيد: الزبد الخالص .

فكافة اشتقاقات الكلمة اللغوية تدلُّ على : التيسـير ، والتسوية ، وجعل الشئ صالحاً للإنتفاع بـه ، ومـا يـترتب عليه .

وهذا المعنى هو عين ما نريده من هذا العلم ، فنريد تسوية ما استعسر من أمر دراسة الشريعة ، وجعل سلوك طريق علومها ميسوراً إن شاء الله تعالى .

ونستطيع أن نقول في :

المعنى الإصطلاحي لهذا العلم .. بأنه / علمٌ يُمهِّد للدارس الطريق المؤدية لدراسة علوم الشريعة ، وتكوين الفكرة العامَّة عن نشوئها ، وتطور مدارسها المتنوعة ، ونشوء علومها ، وموقعها بين : الشرائع ، والتنظيمات ، والأديان .__

وهذا المصطلح أدَّق في الدلالة على المقصود من مصطلح [المدخل] .

فالمَدْخَل : اسم مكان للدلالة على موضع الدخول ، وقد يطلق على ذات الدخول .

والدخول : هو صيرورة الداخل في المكان ليس إلاَّ .

ممَّا تقدَّم فضلنا مصطلح [التمهيد] على [المدخل] .

ثانياً - نشوء هذا العلم [واضعه] / لم يكن التربويون المسلمون الأقدمون بعيدين عن فكرة [علم المدخل] الذي أسميناه [علم التمهيد لدراسة الشريعة الإسلامية] ، فهو ليس علماً مبتكراً كما يظن البعض ، أو علماً مقتبساً كما يظن آخرون ، بل هو علم تراثيٌّ وإن اختلفت التسميات ، فإن [العبرة بحقيقة المسمَّيات لا باختلاف الأسماء] ، ونستعرض بعض ما كتب في هذا المجال .

1. لقد بوَّب أئمة الحديث - وعلى رأسهم الإمام البخاري – في كتبهم الحديثية كتاباً باسم [كتاب العلم] .

2. وكتب الشيخ ابن عبد البر الأندلسي المالكي – ت سنة 463 هـ – كتابه الشهير [جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في حفظه وروايته] ، واستعرض فيه كثيراً من الآداب في تدوين العلم وطلبه ، وأرَّخ للفقهاء الكبار المتبوعين . وهو مطبوع متداول .

3. وكتب الإمام الحجة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزَّالي – ت سنة 555 هـ – كتابه القيِّم [إحياء علوم الدين

] ، وفي الجـزء الأول منـه أتـى بـالكثير ممَّـا يعـدُّ داخلاً فـي موضوع هذا العلم . وهو مطبوع متداول .

4. وقد كتب الإمام ابن قيِّم الجوزيـة - ت سـنة 751 هــ – كتابه الشهير [أعلام المـوقعين عـن ربِّ العـالمين] ، وفيـه استعرض أعلام فقهاء الصحابة ، وأبرز فتـاواهم ، ومميـزات فقههم ، وهكذا فعـل مـع فقهـاء التـابعين ، وأئمـة المـذاهب المعروفـة ، ونـاقش الكـثير ممَّـا رواه عنهـم . وهـو مطبـوع متداول .

5. وكتـب الإمـام المهـدي لـدين اللـه أحمـد بـن يحيـى بـن المرتضـى الزيـدي اليمنـي – ت سـنة 840 هــ – موسـوعته القيِّمة [البحر الزَّخـار الجـامع لمـذاهب علمـاء الأمصـار] ، وهو مطبوع متداول .

6. وكتـب الشـريف نـور الدين عـلي بن عبد اللـه الحسـيني السمهودي – ت سنة 911 هـ – كتابه [جواهر العِقـدين فـي فضل الشرفين شرف العلم الجليِّ والنسب العلـيِّ] ، وقـد اختصـره الحسين بن أميـر المـؤمنين (الزيــدي) المنصـور بـالله القـاسم بـن محمـد بـن علـيٍّ – ت سـنة 1050 هــ – بكتابه [آداب العلماء والمتعلمين ، والذي يقول فيه :

[العاشر : أن يذكر للطلبة قواعد الفن الـتي لا تنخـرم ، إمـا مطلقاً كتقديم المباشرة على السبب في الضمان ، أو غالبـاً كاليمين على المدعى عليه إذا لم تكن بيِّنة .. ونحو ذلك مـن القواعد . وكذلك كلُّ أصل وما ينبني عليه من كـل مـا يُحتـاج إليه من علمي : التفسير ، والحديث ، وأبواب أصول الـدين ، والفقـه ، والنحـو ، والتصـريف ، واللغـة .. ونحـو ذلـك ، إمـا بقراءةِ كتاب في الفن ، أو بتدريج .

وهـذا كلُّـه إذا كـان الشـيخ عارفـاً بتلـك الفنـون ، وإلاَّ فلا يتعرض لها ، بل يقتصر على ما يُتقنه منها .

ومـن ذلك ما لا يسع الفاضل جهله .. كأسماء المشهورين من : الصحابة ، والتابعين ، وأئمة المسـلمين ، وعلمـاء أهـل الـبيت المطهريـن ، وأهـل الزهـد والصـلاح مـن الفقهـاء

المحققين ، وما يستفاد من محاسن آدابهم ، ونوادر أحوالهم ، فيحصل له – مع الطَوْل – فوائد كثيرة][2] .

وكتب أقوامٌ في أسباب اختلاف الفقهاء ، وهو من أهم مواضيع هذا العلم الجليل ، وما كتب فيه كثيرٌ ، من ذلك :

1. أسباب اختلاف الفقهاء لأبي جعفر محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي للطحاوي الحنفي – ت 321 هـ - .
2. رفع الملام عن الأئمة الأعلام للإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي – ت سنة 728 هـ - .
3. رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي – من علماء القرن الثامن الهجري - .
4. عِقد الجيد في الاجتهاد والتقليد لشاه وليِّ الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الحنفي – ت سنة 1176 هـ - .
5. القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد للإمام محمد بن عليِّ الشوكاني الزيدي اليمني – ت سنة 1250 هـ - .

وفي مطلع القرن العشرين الميلادي كتب الباحثون المصريون في مواضيع هذا العلم تحت عنوان [تأريخ التشريع الإسلامي] و [المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية] ، وعنهم انتشرت التسمية وأخذ هذا العلم موقعاً مميَّزاً بين العازمين على الولوج لدراسة العلوم الشرعية ، وقد مهدَّ ذلك لهم الطريق الموصل لتلك العلوم ، مع خلق رؤيةٍ واضحةٍ لكثيرٍ من المصطلحات ، ونشوء المذاهب والمدارس الفقهية والأخلاقية والكلامية .

وأبرز من كتب فيه في العصور الأخيرة /

---

[2] **آداب العلماء والمتعلمين – 54 [الدار اليمنية للنشر والتوزيع / 1987 م]** .

1. تأريخ التشريع الإسلامي – لمحمد الخضري بك ، وقد طبع طبعاتٍ عديدة ، وكتب له الإنتشار والذيوع والتدريس في المعاهد الدينية لفترةٍ طويلةٍ .
2. خلاصة تأأريخ التشريع الإسلامي للمرحوم عبد الوهاب خلاَّف .
3. المدخل لدراسة الشريعة – لأستاذنا المرحوم محمد سلام مدكور .
4. " " " _ لأستاذنا المرحوم علي الخفيف .
5. " " " _ لأستاذنا المرحوم محمد أبو زهرة .
6. مذكرات في أصول وتأريخ الفقه الإسلامي للمرحوم حسين علي الأعظمي الحنفي .
7. " " " _ لأستاذنا د. عبد الكريم زيدان .
8. المدخل لدراسة الفقه الإسلامي – د. محمد يوسف موسى .
9. المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي – الأستاذ محمد مصطفى شلبي .

وهناك عددٌ غير قليل لغيرهم ، بعضها يدرس في المعاهد والكليَّات المتنوعة ، وقد تكون بأسماء أخرى ، ولا ضير في ذلك ما دام الموضوع متَّحداً .. من ذلك :

كتب استاذنا المرحوم العلاَّمة الشيخ محمد أحمد فرج السنهوري وزير الأوقاف الأسبق في مصر ، والمحاضر بقسم الدراسات العليا في دبلوم الشريعة الإسلامية في كليَّة الحقوق / جامعة القاهرة .. ومنها :

1. مذكرات – بالآلة الطابعة – من مقررات الدبلوم المذكور ، باسم [تأريخ الفقه الإسلامي] . وهو جدير بالطبع والنشر ، لما فيه من تتبع تأريخ الفقه الإسلامي في العقود الأخيرة ، وفي القرنين الهجريين الماضيين ، مما لم يتطرق إلي المؤلفون المحدثون الذين سبق ذكرهم .

وقد يكون طبع هذا الكتاب القيِّم ولم يصلني ، بسبب ظروف

العراق المعروفة .

2. ما كتبه عن فقهاء الصحابة الكرام ، ممَّا كـان يـدَّرس في الدبلوم ،

فكان في كلِّ عام يكتب في فقيهٍ من فقهائهم ، ولا أدري بالضبط

عدَّة ما كتب ، والذي أعلمه يقيناً ، هو :

1. الفقيهة الأولى أم المؤمنين عائشة .

ب. ابن عباس ترجمان القرآن .

ثالثاً - مواضيع هذا العلم / يدرس في هذا العلم أمور :

1. نزول الوحي على الرسول عليه السلام .

2. ومواضيع الشريعة ، وأسسـها ، ومميِّزاتهـا ، وقواعـدها العامَّة .

3. نشوء المدارس الكلامية والفقهية والأخلاقية .

4. مميِّزات كلِّ مدرسة من تلك المدارس .

5. الكتابات المهمة في كلِّ مدرسة .__

6. دراسة موضوع مهم من مواضـيع الدراسـات القانونيـة الوضعية مـن وجهـة النظـر الإسـلامية ، مثـل [نظريـة الحق] أو [نظرية الملكية] .. الخ .

7. ثم الإشـارة إلـى موقـع الشـريعة بيـن النظـم الحياتيـة المنظِّمة لشؤون البشر في زماننا .

وقد أضفت :

1. نشأة الخليقة ، وحاجة الإنسان للنبوات .

2. أجيـال العـرب ، ومـن أيِّهـم نسـب رسـول اللـه عليـه الصلاة والسلام .

3. تحديد حدود بلاد العرب .

4. تعريف : الدين ،الإسـلام ، الشـريعة ، الفقـه ، تعريفـاً لغويَّاً واصطلاحيَّاً ، وأنـواع الأديـان ، لمـا فـي النقطـة الأخيرة من تأثير في الردِّ على كثيرٍ المدَّعيات والتهـم للإسلام .

5. ميَّـزت تمييـزاً واضـحاً بيـن : الأسـس ، والقواعـد ، والمميِّـزات .. الـخ ، مـن الألفـاظ المتقاربـة المعـاني والمختلفة الحقائق .

6. توسعت في إيـراد مميِّـزات العهـود الفقهيـة ، وجهـود القائمين على شأن الشريعة في كلِّ عهدٍ ، وتقييم مـا أصَّلوه ، أو بدَّلوه .. الخ .

7. وأمور أخرى سيجدها القارئ في موضعها إن شاء الله تعالى .

رابعاً – استمداده / تستمد مباحث هذا من عدَّة علـومٍ أخرى ، أهمها :

1. السيرة النبوية الشريفة . 2. علـوم القـرآن ، وأهمهـا أسباب النزول.
3. علوم السنة النبوية الشريفة بأنواعها .
4. أصول الفقه . 5. الفقه .
6. كتب تراجم الرجال في المذاهب ، وفي علم الحديث .
7. كتب التأريـخ العـام . 8. والعلـوم الأخـرى بنسـبٍ متفاوته .

خامساً - أهمية هذا العلم / لهذا العلم أهميةٌ قصـوى للمبتدئين ، بل قد لا يسـتغني عنـه البـاحثون ، فهـو يغنـي عن كـثيرٍ مـن المتابعـات والمراجعـات ، ويعطـي صـورةً واضحةً لكثيرٍ من المصطلحات والألفاظ ، والفـروق بيـن كثيرٍ من الأمور ، والموافقـات بيـن غيرهـا ، وحقيقـة هـذا العلم إعادة تبويبٍ ، وسهولة عرضٍ للكثير ، وجعل إمكان الرجوع إلى العلوم الإسلامية بمقدورِ الجميع .

لقد أحسن المحدثون بابتداع هذا العلـم ، فقـد يسـروا الكثير ، وأغنوا الكثير عن تضييع الوقت للوصـول إلـى مـا جعلوه ميسوراً .

وهذا العلم يبرهن لنا أن العلوم لا تقف عنـد أحـدٍ ، وقـد ينشأ منها ما تقوم الحاجة إليه في كلِّ عصرٍ ومصر .

سادساً – فائدته / تيسير طلب علوم الشريعة لطالبيها ، وهي فائدة جليلة إذ تختصر الوقت للدارس ، وتوصله إلى المقصود بأقر طريق . ـــ

سابعاً – ثمرته / عصمة الدارس عن كثيرٍ من الخلط ، وإزالة الغبش والتداخل في المصطلحات ، وتجعل التوغل في مطالب العلوم الإسلامية ميسوراً .

ثامناً – الحاجة إليه / تبتنى الحاجة إليه على ثمرته ، فما دامت له ثمرة نافعة ، فالحاجة إليه قائمة ، وهو ضروريٌّ في العصور المتأخرة ، نظراً لأسلوب الدراسات الشرعية الحديثة .

تاسعاً – نسبته بين العلوم / هو كالباب لمن يريد دخولها ، وهو كالطريق للسائر إليها ، ولا وصول إلاَّ بالطريق ، ولا ولوج إلاَّ من الباب ، ومن هذا تبرز ضرورته .

عاشراً – حكمه الشرعيِّ / حكمه الاستحباب لكلِّ مسلم ، ليقف على الكثير من أمور شريعته ، وتتضح له المسائل مع الدلائل .

وقد يأخذ حكم الوجوب لمن انصرف لدراسة الشريعة دراسة متخصصة ، تيسيراً لمهمته ، واختصاراً لوقته ، وعصمةً له عن تصور أسباب الخطأ .

الباب الأول

في
بدء الخليقة ، وبدء الرسالات ، ونشوء الشرائع
وفي
أجيال العرب ، ونسب الرسول (عليه السلام) ،
وبلاد العرب

الفصل الأول
في
بدء الخليقة ، وبدء الرسالات

روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قوله :
{ كان الله ولا شئ معه **}** ، وفي روايةٍ : **{** كان الله ولا شئ قبله **}**[3] ، ثم أبدع الله عزَّ وجلَّ السماوات والأرض .
يقول تعالى : **{** بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنَّما يقول له كن فيكون **}**[4] **.**
ويقول تعالى : **{** بديع السماوات والأرض أنَّى يكون له ولدٌ ولم يكن له صاحبة خلق كلَّ شئٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليم **}**[5]

ثم خلق الله عزَّ وجلَّ من السماوات والأرض: الملائكة ، والجن ، والإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجمادات .. بما فيها الأكوان ، وغير ذلك من مخلوقاته التي يعجز الإنسان عن إحصائها .
يقول تعالى : **{ ..** ويخلق ما لا تعلمون **}**[6]**.**

---

[3] **رواه : ابن حِبَّان ، والحاكم ، وابن أبي شيبة .. عن بُريدة . راجع : كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني – 2 / 130 ، وحجة الله البالغة للدهلوي – 1 / 12** .
[4] **البقرة / 117** .
[5] **الأنعام / 101** .

[6] **النمل / 8** .

والإبداع في اللغة : ما يكون على غير مثالٍ سابق .
والإباع هو : الخلق من لا شئ ، أي : من العدم التام .
والخلق في اللغة : التقدير .
والخلق هو : أيجاد شئٍ من شئ ، أي : من مادةٍ أخرى ، وهو العدم النسبي .
فالمخلوق : يوجد بعد إذ لم يكن ، ولكن من مادةٍ أخرى .
والمُبدَع : يوجد بعد إذ لم يكن أصلاً [7].

لقد كانت السماوات والأرض بعد إبداعهما متصلتان ، ففصلهما الله عزَّ وجلَّ ، ثم خلق الجبال الرواسي ، وجعل الماء سبباً للحياة ، ثم خلق باقي الأكوان .. يقول تعالى :
{ أوَلمْ يَرَ الذين كفروا أنَّ السموات والأرض كانتا رتْقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلَّ شئٍ حيٍّ أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فيها فِجاجاً سُبلاً لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها مُعرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌّ في فلكٍ يسبحون **}** [8] .
وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار ، وخلق الإنسان من الأرض ، ومن صلصالٍ كالفخار .. يقول تعالى :
{ خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخَّار وخلق الجانَّ من مارجٍ من نار **}** [9] **.**
ويقول تعالى : **{** منها خلقناكم وفيها نُعيدُكم ومنها نُخرجُكم تارةً أخرى **}** [10]**.**

---

[7] **القاموس المحيط للفيروز آبادي – 3 / 236 ، حجة الله البالغة للدهلوي – 1 / 11، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة – 1 / 42 .**
[8] **الأنبياء / 30 إلى 33 .**
[9] **الرحمن / 14 إلى 15 .**
[10] **طه / 55 .**

ويقول تعالى : { ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأٍ مسنون والجانَّ خلقتُهُ من قبلُ من نار السَمُوم وإذ قال ربُّك للملائكة إنِّي خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمأٍ مسنون فإذا سوَّيتُهُ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كُلُّهُم أجمعون إلاَّ إبليس أبى أن يكون من الساجدين قال يا أبليسُ ما لك ألا تكون من الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حمأٍ مسنون قال فاخرج منها فإنَّك رجيم وإنَّ عليك اللعنة إلى يوم الدِّين قال ربِّ انظرني إلى يوم الوقت المعلوم قال ربِّ بما أغويتني لأزيِّنَنَّ لهم في الأرض ولأُغوينَّهم أجمعين إلاَّ عبادك منهم المُخْلَصين }[11] .

والحمأ : الطين الأسود المنتن[12] .
والمسنون : المتغيِّر الرائحة[13] .. وقيل : المُصَوَّر ، من سنَّ الشئ[14] .
والصلصال : الطين الحرُّ اليلبس إذا اختلط بالرمل[15] .
فهو يصلصل .. أي : يُظهر صوتاً إذا نُقر عليه ، فإذا طبخ كان فخارا[16] .

<u>فأما الملائكة /</u> فهي جمعٌ وواحدها .. المَلَك .
والملاك : هو المَلَك أيضاً .

---

[11] **الحجر / 26 إلى 40** .
[12] **القاموس المحيط – 1 / 13 ، المعجم الوسيط – 1 / 195** .
[13] **المصحف الميَّسر للشيخ عبد الجليل عيسى – 34** .
[14] **صفوة البيان للشيخ محمد حسنين مخلوف – 336** .
[15] **القاموس المحيط – 4 / 3 ، المعجم الوسيط – 1 / 520** .
[16] **المصحف الميسر – المرجع السابق ، وراجع : الرحمن / 14 و 15** .

والملائكة : هي التي تبلغ عن الله ، لأن .. الملاك ، والملاكة ، والألوكة ، والمألُك ، والألوك : هي الرسالة[17] .

[وحال الملائكة في تجرِّدها لا يُزعجها حالةٌ ناشئةٌ من تفريط القوة البهيمية .. كالجوع ، والعطش ، والخوف ، والحزن ، أو إفراطها .. كالشبق ، والغضب ، والتيه ، ولا يهمها التغذية والتنمية ولواحقها ، وإنَّما تبقى فارغة لإنتظار ما يرد عليها من فوقها ، فإذا ترشَّح عليها أمرٌ من فوقها من إجماعٍ على إقامة نظام مطلوب ، أو رضاً عن شئٍ ، أو بغض شَئٍ ، امتلأت به وأنقادت له ، وانبعثت إلى مقتضاه ، وهي في ذلك فانية عن مُراد نفسها ، باقية بمراد ما فوقها][18] .

هذا حال الملائكة – في عقيدة المسلمين - ، وهي مأخوذة من القرآن الكريم فيما ورد فيه عنهم ..

يقول تعالى : **{** إنَّ الذين عند ربِّك لا يستكبرون عن عبادته ويُسبِّحُونَهُ وله يسجدون **}**[19] **.**

ويقول تعالى : **{** قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزَّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسولا **}**[20]**.**

ويقول تعالى : **{** وله مَن في السماوات والأرض ومَنْ عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يَستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفتُرُون **}**[21] **.**

ويقول تعالى :**{** يخافون ربَّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون **}**[22] .

ويقول تعالى :**{ يا أيُّها** الذين آمنوا قُوا أنفَسَكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكةٌ غلاظٌ

---

[17] **القاموس المحيط – 3 / 331 ، المعجم الوسيط – 1 / 24 .**

[18] **حجة الله البالغة للدهلوي – 1 / 20** .

[19] **الأعراف / 206** .

[20] **الإسراء / 95** .

[21] **الأنبياء / 19 إلى 20** .

[22] **النحل / 50** .

شدادٌ لا يعصون ربَّهم ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون }[23] .
ويقول تعالى : { فإن استكبروا فالذين عند ربِّك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون }[24] .
ويقول تعالى : { تـكاد السماوات يتفطَّـرن مـن فـوقهنَّ والملائكة يُسبحون بحمـد ربِّــهم ويســتغفرون لمـن فـي الأرض ألا إنَّ الله هو الغفور الرحيم }[25] .

والملائكة بعد / أجسامٌ لطيفـة ، نورانيـة ، تتشـكل بأشكالٍ مختلفة[26] .

أمَّا الجنُّ / فهم في اللغة : اسمٌ من الفعل الماضي [جنَّ] .
وجـنَّ جناً : استتر ، وكلُّ ما سُتر عنك فقد [جنَّ] .
وجنَّ الليل : أظلم .
وجنَّ الظلام : اشتدَّ .
وجنَّ عليه : ستره ، وفي القرآن الكريم : { فلمَّا جنَّ عليه الليل رأى كوكباً فلما أفل قـال لا أحـب الآفليـن }[27] .
وجَنَّة : هو الميِّت ، لأنه يستتر عن الناس .
والجنَّة : الحديقة ذات الأغصان والشجر ، وتحجب من فيها .
والجنين : ما تحمله المرأة في بطنها ، سُميَّ بذلك لاستتاره .
والجنين : القبر .
والمجنَّة : المقبرة ، لأنها تحجب من فيها .

---

[23] **التحريم / 6** .
[24] **فصِّلت / 38 .**
[25] **الشورى / 5** .
[26] **التعريفات للسيِّد الشريف – 205** .
[27] **الأنعام / 76** .

والجِنَّة : الجنون ، وهو استتار العقل ، وفي التنزيل الحكيم : { أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنَّة إن هو إلاَّ نذيرٌ مبين }[28].

والجُنَّة : كلُّ ما يُستتر به ، ومنه غطاء رأس المرأة .

والمجَن : الترس الذي يستتر به المقاتل .

والجَنان : من كلِّ شيءٍ جوفُه ، لأنه مستور .

والجَنان : جماعة الناس التي تستر الداخل فيها .

والجانُّ : الجنُّ .

والجنُّ : من كلِّ شيءٍ أوله ، وشدَّته ، ونشاطه ، فجنُّ الشباب : عنفوانه ، وجِنُّ النبات : زهره .

والجنُّ بعد / خلاف الإنس ، واحده [جنيٌّ] ، وأنثاه [جنيَّة] ، وهم الملائكة المخلوقين من نار[29] .

والجنُّ : باعتبارهم مخلوقاتٍ مستترةٍ مخلوقةٍ من نار ، هم مكلفون كبني البشر ، وهم ليسوا كالملائكة الذين ليست عليهم تكاليف .

يقول تعالى : { ولو شاء ربُّك لجعل الناس أمَّةً واحدةً ولا يزالون مختلفين **إلاَّ** من رحم ربُّك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربِّك لأملأنَّ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين }[30] .

وعلى كونهم مكلَّفين فقد آمن بالرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعضهم ، وكفر آخرون .

يقول تعالى :{ وإذ صَرَفْنا إليك نفراً من الجنِّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضيَ ولَّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنَّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مُصدِّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذُنُوبكم ويَجِرْكُم من عذابٍ أليم }[31] .

---

[28] **الأعراف / 184** .

[29] **القاموس المحيط – 4 / 212 ، المعجم الوسيط – 1 / 140 إلى 141** .

[30] **هود / 119 إلى 120** .

[31] **الأحقاف / 29 إلى 31** .

ويقول تعالى : { قل أُوحي إليَّ أنَّه استمع إليَّ نفرٌ من الجنِّ فقالوا إنَّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنَّه تعالى جدُّ ربِّنا ما اتَّخذ صاحبةً ولا ولدا وأنَّه كان يقول سفيهُنا على الله شَطَطا وأنَّا ظننَّا أن لن تقول الإنس والجنُّ على الله كَذِبا وأنَّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجنِّ فزادوهم رَهَقا وأنَّهم ظنُّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وأنَّا لمسنا السماءَ فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشُهُبا وأنَّا كنَّا نقعد منها مقاعدَ للسمع فمن يستمع الآن يجد له شِهاباً رَصَدا وأنَّا لا ندري أ شرٌّ أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشدا وأنَّا منَّا الصالحون ومنَّا دون ذلك كنَّا طرائق قِدَدا وأنَّا ظننَّا أن لن نُّعجِز الله في الأرض ولن نُعجزه هربا وأنَّا لمَّا سمعنا الهدى آمنَّا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رَهَقا وأنَّا منَّا المسلمون ومنَّا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحرَّوا رَشَدا وأمَّا القاسطون فكانوا لجهنَّم حطبا }[32] .

ويؤيد كون الجنِّ مخاطبون بالفروع والأصول ، وأنَّهم مطالبون بالإيمان بنبيِّنا محمد عليه الصلاة والسلام ، هو قوله تعالى :

{ وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين }[33] ، والعالمون هم كافة المخلوقات العاقلة ، ومنهم الجن .

ويؤيد ذلك أيضاً .. قوله تعالى :

{ .. فسجدوا إلاَّ إبليس كان من الجنِّ ففسق عن أمر ربِّه .. }[34] .

ويرسل إلى الجنِّ رسلٌ كما يُرسل إلى الإنس ، يقول تعالى :

{ يا معشر الجنِّ والإنس أ لم يأتكم رسلٌ يقصُّون عليكم آياتي ويُنذِرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهِدنا

[32] **سورة الجنِّ / 1 إلى 15** .
[33] **الأنبياء / 107** .
[34] **الكهف / 50** .

على أنفُسِنا وغرَّتهُمُ الحياةُ الدُّنيا وشهِدوا علـى أنفُسِـهِم أنَّهم كانوا كافرين }[35] .
ولـذلك يُعاقب الجنِّ ويُثابون ، لأن العقاب والثواب هـو فرع التكليف ، يقول تعالى :
{ قـال ادْخُلُوا في أُممٍ قد خَلَت من قبلِكم من الجـنِّ والإنس في النار كلَّمـا دخَلـت أُمَّـةٌ لعنـت أختَهـا حتَّـى إذا ادَّاركوا فيها جميعاً .. }[36] .
ويقول تعالى : { ولقد ذرأْنـا لجهنَّـمَ كـثيراً مـن الجـنِّ والإنس لهم قلوبٌ لا يفقَهُون بها ولهـم أعيـنٌ لا يُبصِـرُون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضَــلُّ أولئك هم الغافلون }[37] .

ويلاحظ / أنَّنا نقلنـا نصوصـاً دينيـة للكلام عـن هـذه المغيَّبات ، فإن أيَّة جهةٍ أخـرى لا تسـتطيع أن تـروي عـن غير المحسوسات ، وما لم تـدركه ممـا مضـى مـن عـالم المحسوسات ، وما يقولونه هو ظنٌّ ، والظـن لا يؤخـذ بـه في مثل هذه الأمور – على ما سيأتيك إن شاء الله تعـالى - .

أمَّا الإنسان / ففي معنى الكلمة لغةً أقوال :
الأول – هو اسمٌ جامد غير مشتق ، وهو اسم جنسس يقع على : المفرد والجمع ، والأنثى والذكر .
الثاني – هو مشتق .. واختلفوا في مصدر اشتقاقه – بعد اتِّفاقهم على زيادة النون الأخيرة - :
أ. قـال البصـريون : هـو مشتق من [الأنس] ، أي .. ضد [الاستيحاش] ، والهمزة أصلية فيكون علـى وزن [فعلان] .
قال الشاعر :

---

[35] **الأنعام / 130** .
[36] **الأعراف / 38** .
[37] **الأعراف / 179** .

وما سمِّي الإنسان إلاَّ لأُنسه ولا القلب إلاَّ أنَّه يتقلب

ب. وقال الكوفيون : هو مشتق من [النسيان] ، فالهمزة تكون زائدة ، ولما كان التصغير يُرجع الكلمة إلى أصلها ، فتصغير إنسان هو .. [أنيسان] .

قال الشاعر :

وما سميِّيَ الإنسان إلاَّ لنسيه ولا القلب إلاَّ أنَّ يتقلب

والإنسان / كائن : حيٌّ ، ناطق ، عاقل ، حسَّاس ، نامٍ ، متحرك بالإرادة .

و**في بيان حقيقته /** أقوال لا تكاد تنضبط في : كونه جسماً ، أم عَرَضاً جسمانياً ، أم عرضاً روحانياً . ولا يهمنا هذا في شئٍ من دراستنا .. فنعرض عنه .

وبالنسبة لكونه عَرَضاً ، أو فيه أعراض ، فقد قسموا تلك الأعراض .. إلى : بهيمية[38] ، وسبعية[39] ، وشيطانية ، وربوبية .

فيصدر عن البهيمية : الشهوة ، والشَرَه ، والفجور .

ويصدر عن السبعية : الغضب ، والحسد ، والعداوة ، والبغضاء .

ويصدر عن الشيطانية : المكر ، والحيلة ، والخداع .

ويصدر عن الربوبية: الكِبر ، والعزُّ ، وحبُّ المدح .

[.. وأصول هذه الأخلاط الأربع قد عجنت في طينة الإنسان عجناً محكماً ، لا يكاد يتخلص منها ، وإنما ينجو من ظلماتها بنور الإيمان المستفاد من العقل والشرع .

فأول ما يُخلق في الآدمي [البهيمية] ، فيغلب عليه الشره والشهوة ، كما في الصبيِّ .

ثم يخلق فيه [السبعية] ، فيغلب عليه المعاداة والمنافسة .

---

[38] **نسبة إلى البهائم** .

[39] **نسبة إلى السباع ، وهي الضواري** .

ثـم يخلـق فيـه [الشـيطانية] ، فيغلـب عليـه المكـر والخداع .

ثم تظهر فيه [الربوبية] ، فيظهر عليه الكِبر والاستعلاء .

ثم بعد ذلك يخلق العقل فيه ، ويظهر الإيمان وهو مـن حزب الله وجنود الملائكة ، وتلك الصفات مـن مـن جنـود الشيطان .

وجنود العقل تكمل عنـد الأربعيـن ، ويبـدأ أصـله عنـد البلوغ .

وأما ساير جنود الشيطان تكون قد سبقت إلى القلب قبل البلوغ ، واستولت عليه ، وألفتها النفس واسترسـلت في الشهوات متابعةً لها ، إلى أن يرد نور العقل ، فيقــوم القتـال والتطـارد فـي معركـة القلـب ، فـإن ضـعف جنـد العقل ونور الإيمان لم يقوَ على إزعـاج جنـود الشـيطان ، فتبقى جنـود الشـيطان مسـتقرة فـي القلـب آخـراً كمـا سبقت إلى النزول فيه أولاً ، وقد سلم للشيطان مملكــة القلب][40] .

وليس لنا على هذا الكلام اعتراضٌ إلاَّ مـن جهـة جعـل العقل هو الحاكم بـاطلاق ، فالعقـل حـاكم ومـوجب عنـد الإيمان بـالله ، ومـا بعـده هـو حـاكم غيـر مـوجب ، وهـذا خلاف ما يُشمُّ من النص .. فلا تغفل .

<u>والإنسان بعد هذا /</u> هو نسخةٌ مختصرة من العالم الواسع – كما قيل - ، ففيه :

بسائطه ومركباته ، ومادِيَّاته ومجرداته .. بل هو العالم الأكبر .. يقول الشاعر :

دواؤك فيك وما تشـعر ودواؤك منـك منـك ولا تُبصر

وتحسب أنَّك جِرمٌ صغير وفيك انطـوى العـالم الأكبـر

---

[40] **مجمع البحرين ومطلع النيِّرين _ كتاب السين / باب ما أوله الألف** .

<u>ثم الإنسان خلاف الجنِّ /</u> فسميَّ إنساناً لظهوره ، والجن لاجتنانه .. أي : خفائه .

لقد أودع الله الإنسان [بحكمته الباهرة قوتين :

قـوة مَلَكيـة – تتشـعب مـن فيـض الـروح المخصوصـة بالإنسان ، وعلـى الـروح الطبيعيـة السـارية فـي البـدن ، وقبولها ذلك الفيض وانقهارها له .

وقوة بهيمية – تتشعب مـن النفـس الحيوانيـة المشـترك فيهـا كـلُّ حيـوان ، المتَّشـجة بـالقوى القائمـة بـالروح الطبيعية ، واستقلالها بنفسها ، واذعـان الـروح الإنسـانية لها ، وقبولها الحكم منها .

ثم تعلم أن بين القوتين تزاحماً وتجاذباً ، فهذه تجذب إلى العلو دون تلك .. ، وإذا برزت البهيمية وغلبـت آثارهـا كمنت الملكية ، وكذلك العكـس ، وأن للبـاري جـلَّ شـأنه عناية بكل نظام وجوداً بكل ما يسأله الاسـتعداد الأصـلي والكسبي ، فإن كسبت هيئات بهيمية أمدَّ فيها ويسَّر لهـا ما يناسبها ، وإن كسبت هيئات ملكية أمدَّ فيها ويسَّـر لهـا ما يناسبها ، كمـا فـي قـوله تعـالى : **{** فأمـا مـن أعطـى واتَّقى وصدَّق بالحسنى فسنُيَسِّره لليُسرى وأما من بخل واستغنى وكذَّب بالحسنى فسَنُيَسِّـرهُ للعُسـرى ومـــــــا يُغنـــــــي عنـــــــه مـــــــالُهُ إذا تردى **}**[41] ، وقال تعـالى : **{** كلاً نُّمِـدُّ هـؤلاء وهـؤلاء من عطاء ربِّك وما كان عطاءُ ربِّك محظورا **}**[42] .

وأن لكلِّ قوَّةٍ لذَّةً وألماً :

فاللذة – إدراك ما يناسبها .

والألم – إدراك ما يُخالفها .

.. فتبين أن التكليف من مقتضيات النـوع الإنسـاني ، وأن الإنسان يسأل ربَّه بلسان اسـتعداده أن يـوجب عليـه مـا يناسب القوة الملكية ثم يثبت على ذلك ، وأن يُحرِّم عليه الإنهماك في البهيمية ويعاقب على ذلك .. وتجد مـع ذلـك فيه خواص يمتاز بها من سائر الحيوان ، منها :

---

[41] **الليل / 5 إلى 11** .

[42] **الإسراء / 20** .

النطق ، وفهم الخطـاب ، وتوليـد العلـوم الكسـبية مـن ترتيب المقدِّمات البديهية ، أو من التجربة ، والاسـتقراء ، والحدس .

ومن : الاهتمام بأمور يستحسنها بعقله ولا يجدها بحسِّه ولا وهمـه .. كتهـذيب النفـس ، وتسـخير الأقـاليم تحـت حكمه .

ولذلك يتوارد على أصول هذه الأمور جميع الأمم حـتى سكان شواهق الجبال ، وما ذلك إلاَّ لسرٍ ناشئٍ من جــذر صورته النوعية ، وذلك السرُّ أن مزاج الإنسان يقتضي :

أن يكون عقله قاهراً علـى قلبـه ، وقلبـه قـاهراً علـى نفسه .

ثم انظر إلى تدبير الحقِّ لكلِّ نوعٍ ، وتربيته إياه ، ولطفه به ، فلما كان انبات لا يحسُّ ولا يتحرك ، جعل لـه عروقـاً تمتص المادة المجتمعة من الماء والهواء ولطيف الـتراب ، ثم يفرقها في الأغصان ، وغيرها ..

ولما كان الحيوان حساساً متحركاً بالإرادة ، لم يجعل له عروقاً تمتص المادة من الأرض ، بل ألهمه طلب الحبوب والحشيش والماء من مظَّانِّهـا ، وألهمـه جميـع مـا يحتـاج إليه من الارتفاقات ..

ولمـا كـان الإنسـان مـع احساسـه وتحرُّكـه وقبـوله للإلهام ات الجبِلِّيَّـة ، والعلـوم الطبيعيـة ، ذا عقـلٍ وتوليـد للعلــوم الكســبية ، ألهمــه الــزرع والغــرس والتجــارة والمعاملة ، وجعل منهم السيد بـالطبع والإتِّفـاق ، والعبـد بالطبع والإتِّفاق ، وجعل منهـم الملـوك والرعيـة ، وجعـل منهــم الحكيــم المتكلــم بالحكمــة الإلهيــة والطبيعيــة والرياضية والعملية ، وجعل منهـم الغـبيِّ الـذي لا يهتـدي لذلك إلاَّ بضرب تقليد ..

واعلم أن الإنسان ليس كسائر أنواع الحيوان ، بل لـه إدراك أشرف من إدراكاتهم ...

ومن خوَّاصه أيضاً : أن يكون في نوع الإنسان مَـن لـه خلوصٌ إلى منبع العلوم العقلية يتلقاها منه وحياً أو حدساً أو رؤيا ، وأن يكون آخرون قـد تفرَّسـوا مـن هـذا الكامـل آثار الرشد والبركة ، فانقادوا له فيما أمر ونهى .

وليس فردٌ من أفراد الإنسان إلاَّ له قوةُ للتخلـص إلـى الغيب برؤيا يراها ، أو برأيٍّ يُبصره ، أو هتيفٍ يسـمعه ، أو حدسٍ يتفطَّن له ، إلاَّ أن منهم الكامـل ومنهـم النـاقص ، والناقص يحتاج إلى الكامل ، وله صفاتٍ يجلُّ طورها عـن طور صفات البهائم ، كالخشوع .. والنظافة .. والعدالة .. والسماحة .. ، وكظهور بوارق الجـبروت والملكـوت مـن اسـتجابة الـدعاء .. وسـائر الكرامـات .. والأحـوال .. والمقامات .

والأمور التي يمتاز بها الإنسان من سائر الحيوان كثيرةٌ جداً ، لكن جماع الأمر وملاكه .. خصلتان :

- أحدهما / زيادة القوة العقلية ، ولهـا شـعبتان .. شـعبة غائصة في الإرتفاقات لمصلحة نظـام البشـر واسـتنباط دقائقها ، وشعبة مستعدة للعلوم الغيبية الفائضة بطريق الوهب .
- وثانيهما / براعة القوة العملية ، ولها شـعبتان .. شـعبة هـي ابتلاعهـا للأعمـال مـن طريـق اختيارهـا وإرادتهـا ، فالبهائم تفعل أفعالاً بالاختيار ولا تدخل أفعالها في جُـدُر أنفسها .. ، وشعبة هـي أحـوال ومقامـات سـنيَّة كمحبـة الله تعالى ، والتوكل عليه مما ليس في البهائم جنسها ..][43]

فالمخلوقات - إذن - أنواع /

فالجماد – لا يعقل ، ولا يحسُّ ، ولا ينمو ، ولا يتحرك .

والنبـات – لا يعقل ، ولا يحسُّ ، ولا يتحرك .. وينمو .

والحيوان – لا يعقل .. ويـحسُّ ، وينمو ، ويتحرك .

والإنسان – يـعقل ، ويـحسُّ ، وينمو ، ويتحرك بالإرادة .

والجـنُّ - مثل الإنسان في صفاته ، والفارق الاختفاء ! .

<u>فلكون الإنسان /</u>

- يأنس بغيره – كما مرَ فـي معنـاه اللغـوي - ، فهـو كمـا قال فلاسفة الاجتمـاع بعدئـذٍ : [مـدنيٌّ بطبعـه] ، وهـذا

---

[43] **حجة الله البالغة للدهلوي – 1 / 20 إلى 23** .

أمرٌ عرفه العرب منـذ القـديم ، عنـد وضـع اللفـظ الـدَّال على معناه .

- وأنه ينسى – كما مـرَّ فـي معنـاه الآخـر - ، فهـو محـل العوارض المُـذهبة للعلـم – علـى الـدوام أم علـى سـبيل التأقيت – من : نسيان ، وسهو ، وغفلة ، وجنون ، وعتـه ، ونوم ، وغيبوبة ، وسكرٍ .
- وأنَّه يحمل صفات : البهيمية ، والسبعية ، والشـيطانية ، والربوبية.
- وأنه : يُرى فيؤثر في الموجودات وليس ممن يختفي ، ويعقل ، وينمو ، ويحسُّ ، ويتحرك بالإرادة .

كلُّ ذلك / جعله موضع عناية اللـه عـزَّ وجـلَّ أكـثر مـن غيـره مـن المخلوقـات ، فـإذا كـان الجـنُّ يسـتوون مـع الإنسان في الصـفات العامـة ، فاختفـاؤهم – بـأمر اللـه – يبعد تأثيرهم المباشـر ، فـافترقوا عـن الانسـان مـن هـذه الجهة .

ولهذا / رفع الله عزَّ وجـلَّ شـأن الإنسـان علـى سـائر المخلوقات ، حيث جعل الله بعض الأنبياء من بنـي البشـر أفضل مـن الملائكـة ، لأن هـؤلاء ليسـوا عرضـةً للإغـواء ، فهم لا يُمتحنون بل عُصموا عن الصغائر والكبائر ، وجُردُّوا من الغرائز والحاجـات العضـوية .. فلا ريـب أنَّهـم نـاجون بعناية الله بهم .

أمـا الإنسـان فقـد اجتمعـت فيـه الصـفات ، وتزاحمـت النوازع ، فمن تغلب عليها فقد بلغ مبلغاً لا يبلغـه الملائكـة المقربون ، وتغلبه يكون بالعناية الإلهية مع الهداية العقلية ، ولا ينفرد الأخير بالحاكمية والموجبية ، فهذا ضلال البعض الـذين بعـدوا فـي اعطـاء الإنسـان قـدرةً نفسـيَّة ، وهـذا يخالف منطوق العقل نفسه ، إذ يجعل فعـل اللـه بإرسـال الرسل عبثاً !! ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، ومن هذا يتَّضح لك ما فلناه عن النص الذي نقلناه آنفاً .

وكانت عناية الله بالإنسان وتكريمه من أوجهٍ :

- خلقه إيَّاه بيده .
- نفخه فيه من روحه .

- تعليمه إيَّاه بنفسه .
- إسجاد الملائكة له .
- جعله أهلاً لخطابه ورسالاته .
- استخلافه في أرضه .
- تفضيله على باقي مخلوقاته بالعقل والإدراك .
- تفضيله على باقي مخلوقاته بخلقه في أحسن تقويم بهيئةٍ حسنة .
- تسخيره كلَّ ما في الكون له ، وجعل له القدرة على قهره .
- إنزاله الرسالات للإنسان التي وفرت له سبل الهداية ، لكي لا يركن إلى خاصَّة نفسه ، ونوازعها الغالبة على صفاته الخيرية .
- ووفرت الرسالات : العدالة في .. المساواة أمام الشرع ويوم القيامة ، والعدالة الدنيوية ، والعدالة في عدم الإكراه في الدين ، وفي حفظ مصاله الضرورية والحاجية والتحسينية .
- ومهدَّ له سبيل التوبة ، وقبولها منه رحمةً منه واعتناءً بالإنسان .
- وجعل له سبلاً للتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ ، وشرَّع له العبادات المفروضة ، والنوافل والزيادات التي تقربه إليه .
- جعل الحسنة بعش أمثالها ، وتضاعف أضعافاً كثيرةً لا تُحصى في بعض الطاعات ، والسيِّئة بمثلها ، وجعل الحسنات يُذهبنَّ السيِّئات .
- وجعل العوارض : كالمرض سبباً لغفران الذنوب ، وطلب العلم والسفر سبباً لاستجابة الدعاء .
- وجعل البلوى لبني البشر حباً منه لهم ، وسبباً للغفران ، وبالصبر على البلوى تنال به الدرجات العلا .
- واعتنى به بعد موته – ولو قتلاً - : فنهت عن القتل أصلاً ، وإن حدث – ظلماً أو بحق – فلا بدَّ من عدم التعذيب فيه ، والنهي عن المُثْلة بعده .
- واعتنى به بعد موته فأوجبت : تغسيله ، وتجهيزه وتكفينه ، والصلاة عليه ، ودفنه ، ووصول ثواب الأعمال

الصالحة إليه ، وبقاء ذمته بالقدر الذي تستحصل حقوقه ، وتدفع ديونه[44] .

ولو شئنا أن نحصي أنواع عناية الباري جلَّ وعلا ببني البشر ، لما أحصيناه ، فرحمته وسعت كلَّ شئٍ ، وعـذابه يخـصُّ بـه من يشاء .

فمن النصوص المؤيدة لما ذكـر – وهنـاك غيرهـا - ، قـوله تعالى :

{ وإذ قال ربُّك للملائكة إنِّي جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيهـا مَـن يُفسـد فيهـا ويسـفك الـدماء ونحـن نسـبِّح بحمدك ونقدِّس لك قال إنِّي أعلم ما لا تعلمـون وعلَّـم آدم الأسماء كلَّها ثم عرضهم على الملائكة فقال ـنبئوني بأسـماء هـؤلاء إن كنتـم صـادقين ق الوا سـبحانك لا علـم لن ا إلاَّ م ا علمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنـبئْهم بأسـمائهم فلمَّا أنبأهم بأسـمائهم قـال ألـم أقـل لكـم إنِّـي أعلـم غيـب السماوات والأرض وأعلم ما تُبدون ومـا كنتـم تكتمـون وإذ قلنا للملائكو اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يـا آدم اسـكن أنـت وزوجـك الجنَّـة وكلا منها رَغَداً حيث شـئتما ولا تقربـا هـذه الشـجرة فتكونـا مـن الظالمين **}**[45] .

وقوله تعالى : **{** ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في الـبرِّ والبحر ورزقناهم من الطيِّبـات وفضـلناهم علـى كـثيرٍ ممَّـن خلقنا تفضيلا **}**[46] .

وقوله تعالى : **{** وهو الـذي جعلكـم خلائـف الأرض ورفـع بعضكم فوق بعضكم درجات .. **}**[47]**.**

---

[44] **النصوص الدَّالة على كلِّ ذلك معروفة ، ولعل أغلبها سيأتي في ثنايا البحوث القادمة .**

[45] **البقرة / 30 إلى 35 .**

[46] **الإسراء / الأحزاب / 72 إلى 73 .**

[47] **الأنعام / 165 ، ونفس المعنى تكرر في مواضع من القرآن العظيم .**

وقوله تعالى : { .. هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها }[48] .

وللأوصاف المبسوطة فقد قبل الإنسان بالتكليف من الله عزَّ وجلَّ ، متحمَّلاً الأمانة .
وكان تكليف الله عزَّ وعلا للإنسان يدل على مزيد اهتمام والتفات من الله تعالى إلى عبيده من بني البشر ، فحين يلتفت إليه ربُّه بالعناية ويطلب منه ما يطلب ، فهو التفات منه لبعض مخلوقاته المستغني جلَّ وعلا عن كلِّ ما أعطاه إيّاه ، فلم يكن ذلك التكليف إلاّ عناية من تعالى .
فالأمانة التي قبلها هي رضاه بالتكليف ، وأبته المخلوقات الأخرى .. يقول تعالى : { إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحمِلْنَها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنَّه كان ظلوماً جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما }[49] .

إن الله لم يكل الإنسان إلى نفسه من أول لحظةً خلقه بها ، بل كان يأمره وينهاه لئلا يقع فيما يُغضب الله جلَّ وعلا ، فلم يجعله مكتفياً بعقله ، مستغنيّاً عن ربِّه ، وجعله محتاجاً إلى هداه تعالى وهو في الجنَّة ، وبعد إهباطه منها .
يقول تعالى : { وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنَّة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما ممَّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوٌّ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين فتلقى آدمُ من ربِّه كلماتٍ فتاب عليه إنَّه

---

[48] **الإسراء / 70** .

[49] **الأحزاب / 72 إلى 73** .

هو التوَّاب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمَّا يأتينكم منِّي هـدىً فمـن تبـع هـدايَ فلا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنـون والذين كفروا وكـذَّبوا بآياتنـا أولئـك أصـحاب النـار هـم فيهـا خالدون }[50] .

والإنسان / - كما علمناه عنه بطريـق الملاحظـة – لـه جوانب ثلاث متلازمة ، لا تنفك عنه ابداً – إلا بطريق الاستثناء .. كالمجانين - ، وهذه الجوانب الثلاث هي :

- جانب الفكر – وهذا تعالجه العقيدة ، وتدرس في عـلمٍ خـاص يسـمى : العقيـدة ، أو الكلام ، أو المقـولات ، أو الإلهيات .

وهذا العلم .. هو أشرف العلوم ، لتعلقه بإثبات وجـود الله ، وصفاته والإيمان به .. الخ . فإن شرف العلم من شرف المعلوم .

- جـانب النفـس – وهـذا يُعـالجه علـم الأخلاق ، أو علـم التخلية والتحلية ، أو ما سميَّ – بعدئذٍ – بعلم التصوف .
- وجانب الأعضاء – فما تقوم به من أفعـال يُعـالجه علـم الفقه ، فهي الأمور العملية الـتي يقـوم بهـا الإنسـان فـي اليوم والليلة .

وهذا الجانب هو مقصود الشرائع ، والأمران الآخران هو مقصود الأديان – بمعناها الضيِّق - ، وتتضافر جميعها لكـي تجعـل مـن حيـاة الإنسـان حيـاةً مقبولـة معقولـة تـوفر السعادة لصاحبها ، ولكي تؤدي إلـى السـعادة العظمـى .. وهي السعادة الأخروية .

فالإنسان لا يستطيع العيش من غير نظـام / لأنـه عاقل ، ومن يعقل يحتاج إلى تنظيمات لتفسه ، وفي علاقتـه مع غيره ، والعقل يعقل صاحبه عمَّا لا يرتضى ، فعلى العقـل أن يُميِّز بين ما يرتضى وما لا يُرتضى .

فقد يُجهد الإنسان نفسه ليصل إلى ما يُرتضى ، ولكن أنَّى له أن يعرف المرضيِّ من غيره ؟! ، فيكون حَكَماً ومُحَكَّماً ،

---

[50] **البقرة / 35 إلى 39** .

وهو المعيار وهو المَعير ، أي : العيار والوزن !! ، فهو لا ريب سيضع ضوابط توافق هواه ، وتحقق له اللذة – بالمعنى الذي بيَّناه - ، ثم يقوم هو بتقييمها ، وبيان صلاحها ، وموافقتها للغريزة الإنسانيَّة ، والجبِّلة البشريَّة .. وهذا من الغرابة بمكان !! .

لذلك قامت ضرورة الحاجة إلى معايير خارجة عن صنعه ، ولكن محلَّها و دون غيره .

إذن أ ليس الله تعالى هو خير من يضع تك الضوابط ؟ ؟ ، أ لم يكن خالقاً لهذا المخلوق وهو العارف بدخيلته ؟ ؟ { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير }[51].

<u>فقامت الحاجة إلى إرسال الرسل من الله عزَّ وجلَّ /</u> فبعد حسم الإيمان بالله - وهذا موضعه غير هذا المقام ، فنحن يُفترض فينا أننا نخاطب المؤمنين - علينا أن نؤمن بالرسالات التي أرسلها الله إلى بني البشر ، وخاتمتها رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

ولإيماننا بالله طريقٌ هو العقل .

ولإيماننا بالرسول طريق النظر في البراهين ، وهي نوعان :

الأولى / حسيَّة : كانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وشكوى الغزالة ، ونبع الماء من بيت أصابعه الشريفة ، وتطويعه العرب وهدايتهم وجمعهم على معتقد واحد مع أن المشهور عنهم خلاف ذلك .. الخ . وهذا طرقها الخبر الصادق بطريق النقل المتواتر عمَّن : شاهد ، وسمع ، وأحس .

الثانية / معنوية : وهي إخباراته عن بعض المغيَّبات التي تحققت ، ومعجزته الكبرى في القرآن العظيم ، ومعجزة هذه الأحكام التي وردت في الكتاب والسنة وما فيها من مقبولية العقل ، وتلبية حاجة المجتمع الإنساني .. وليس هذا موضع الكلام فيه .

فإذا ثبتت نبوة محمد عليه السلام ، فلابدَّ من دراسة أحكام شريعته البهيَّة ، والأحكام العليَّة ، ودراسة العلوم التي

---

[51] **الملك / 14** .

نشأت في الأمة على مرِّ العصور ، لكي نصل إلى مـراد اللـه فنقوم بتطبيقه .

وهذا أمرٌ فيه نوع عسر على المبتدئين / ولكي لا يذهب من أعمـارهم ما يجب إنفـاقه في الأهـم ، فقـد وضـع هذا العلم لاختصار الطريق ، مع التسوية والتمهيد ..

هذا ولما كا رسول الله عليه السلام عربياً ، نشـأ فـي بلاد هم ومات فيهـا ، فلابـدَّ مـن معرفـة : معنـى كلمـة العـرب ، وأجيالهم ومن أيِّها كان رسول الله عليه السلام ، وبلادهــم .. وهذا موضوع الفصل القادم إن شاء الله .